

## قوة السؤال.. مفتاح المعرفة والحكمة عبدالله عمر باوشخه



لطالما كان السؤال المحرك الأساسي للعقل البشري، فهو ليس مجرد أداة للاستفهام، بل يمثل جوهر الوعي الإنساني وأساس التفكير النقدي والتحليل العميق، من خلال التساؤل يستطيع الإنسان تحديد أولوياته، التخطيط لأهدافه، وتحقيق حياة أكثر توازنًا وسعادة.

كما يعتبر السؤال الجسر بين الجهل والمعرفة، وبين التقليد والإبداع، وبين المسلمات والتغيير، ففي كثير من الأحيان لا تكمن القيمة في الإجابة بحد ذاتها، بل في طرح السؤال الذي يفتح آفاقًا جديدة للتفكير والتحليل، فالسؤال هو الأداة التي يستخدمها الإنسان لاستكشاف المجهول وفهم العالم من حوله، مما يجعله ركيزة أساسية لكل تطور فكري وعلمي.

لقد لعب السؤال دورًا محوريًا في الفلسفة عبر العصور، حيث استخدم سقراط "الأسئلة" كأداة لاختبار الأفكار وتحليلها من خلال الحوار العميق، أما رينيه ديكارت، فقد اعتمد "الشك المنهجي" ليصل إلى يقينه الشهير: "أنا أفكر، إذن أنا موجود".

وفي المقابل رأى الفيلسوف إيمانويل كانط أن هناك أسئلة لا تقود إلى إجابة نهائية، بل تخلق حوارًا فكريًا مستمرًا، مثل: ما الحقيقة؟ هل يمكننا معرفة كل شيء؟ ما حدود العقل البشري؟ هذه التساؤلات لا تهدف إلى تقديم إجابات مباشرة، بل تحفز العقول على التفكير الدائم.

وبعبارة أخرى فإن السؤال ليس مجرد وسيلة لمعرفة ما لا نعرفه، بل هو أحيانًا إدراك لمدى جهلنا، فقد كان العالم يؤمن بأن "الحكمة الحقيقية تبدأ عندما يدرك الإنسان جهله".

فالتفكير النقدي القائم على التساؤل هو المفتاح لمواجهة المسلمات والتقاليد الجامدة، مما يمنح الإنسان فرصة لفهم أعمق وإبداع أكثر.

عند طرح سؤال حول جوهر السعادة، نجد أن الإجابة النمطية بأنها مجرد "شعور" قد تكون مضللة، فالسعادة ليست مجرد حالة وجدانية عابرة، بل هي فعل بشري موجّه يرتبط بأسلوب الحياة والتوازن بين الأولويات، عندها يمكن تصور السعادة على هيئة رسم بياني يتأرجح بين لحظات مختلفة، مما يسمح للإنسان بالتحكم في قراراته وتصرفاته بوعي أكبر.

وبالمثل فإن الحياة الطيبة لا تعتمد فقط على توفر عناصر محددة، بل تتجسد في أسلوب العيش ذاته، حيث يكون الإنسان في حالة انسجام مع قيمه وأهدافه، ويمتلك القدرة على اتخاذ قرارات تساهم في تحقيق رفاهيته الحقيقية.

إن ما يميز العقل البشري هو تغير أنماط الأسئلة التي يطرحها وفقًا لاحتياجاته المتطورة، فمن الأسئلة الفلسفية حول السعادة والمعرفة إلى الأسئلة العملية حول الاقتصاد والاستراتيجيات، يبقى التساؤل هو المحرك الأساسي للتقدم والتطور.

عند اتخاذ قرارات مصيرية أو وضع خطط عمل، يصبح السؤال أداة لا غنى عنها، فهو يساعد على تحليل الخيارات، تقييم النتائج، واختيار الأنسب، ومن هنا فإن تطوير مهارة طرح الأسئلة الذكية والمناسبة يعد عنصرًا أساسيًا في تحقيق التقدم الشخصي والمهني.

ولأن السؤال ليس مجرد أداة للاستفسار بل هو الأساس لكل تطور فكري ومعرفي، فإنه كذلك وسيلة للتحرر من الجمود الفكري، وأداة لفهم أعمق للحياة، وجسر يقود إلى التغيير والابتكار، وكما قال سقراط: "السؤال الجيد نصف المعرفة".

إن الاستمرار في طرح الأسئلة المناسبة هو ما يضمن استمرار رحلة البحث والاكتشاف، وهو ما يجعل الحياة أكثر ثراءً ومعنى.

عبدالله عمر باوشخه